الاستعمالات الرقمية عند الشباب العربي:

من حاجة الاتصال إلى حاجة النضال

د. ثريا السنوسي:

أستاذ مساعد - كلية الإمارات للتكنولوجيا
أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

د. عمرو أسعد:

أستاذ مساعد - كلية الإمارات للتكنولوجيا
أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

يرى عديد من الباحثين في حقل علوم الإعلام والاتصال أن دراسة الاتجاهات البحثية والنظرية التي تتناول مسألة التأثيرات الاجتماعية لوسائل الاتصال الجماهيري لايمكنها أن تتجاهل نموذج الاستخدامات والإشباعات، حيث أن تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانتشار مايسمى بالإعلام الجديد كنتاج لانتشار الإنترنت وتطور خدماته،أدى إلى إعادة الروح إلى هذا النموذج الذي يرجع إلى السبعينيات مع Katz و Blumer و . Gurevitch وقد اتسمت هذه النظرية بطبيعة نفسية اجتماعية تتخذ من الجمهور محوراً لها، كما تبحث في التأثيرات الاجتماعية غير المباشرة وتفترض أن الجمهور هو نشيط وإيجابي في تفاعله مع وسائل الإعلام بهدف إشباع الاحتياجات النفسية والاجتماعية له. فالنموذج يأخذ بعين الإعتبار المتلقي كنقطة بدء ,بدلا من الرسالة الاعلامية ,ثم يخبرنا عن سلوكه الإتصالي فيما يتعلق بتجربة الفرد مع وسائل الإتصال.

إلا أن هذه النظرية لاتُعَدُّ مصدر الإلهام الوحيد للدارسين، حيث ساهم ميلاد الإعلام الجديد في إعادة الروح لنظرية الميديولوجيا لماكلوهان ومعادلته الشهيرة "the Medium is the Message الوسيلة الإعلامية هي الرّسالة". فقد أعطى ماكلوهان مكانة جوهرية لأداة الاتصال التي تتحكم حسب رأيه، في التغييرات الاجتماعية والاقتصادية وأيضاً السياسية. فمثلما غيرت مطبعة Gutenberg التاريخ في القرن 18وأعلنت قيام مجتمع الكتابة بعدما كان الإتصال الشفاهي هو الذي يسود، أسست الإذاعة لمنعرج كبير في حياة البشر ولاسيما في مجال السياسة، حيث تم استثمار الراديو من قبل النازية، وتم استعماله كأداة للتعبئة الجماهيرية وحشد المواطنين إبان الحرب العالمية الثانية.

وعموماً، فقد مثل فكر ماكلوهان مرآة لنمط سائد مع بدايات الثورة التكنولوجية والولوج إلى مجتمع الاتصال-La So ciete de Communication" لذلك فإن السياق الذي يرتبط به فكر ماكلوهان مستمد من الحتمية التكنولوجية Determinisme Technologique" في الخمسينيات وحتى السبعينيات من القرن الماضي في المجتمع الغربي. وقد أكد ماكلوهان في كتابه"The Medium Is The Messege أن المجتمعات تتغير دائماً على حسب الطرق التي يستعملها الأفراد في الاتصال أكثر من المحتوى الاتصالي نفسه.فالوسيلة الاتصالية تعيد تنظيم كل الظواهر في حياتنا الخاصة، وهي تدفعنا إلى التغيير.

اعتقد ماكلوهان بوجود علاقة قوية تربط التكنولوجيا

الاتصالية بالتغيير الاجتماعى. هذه العلاقة شغلت كذلك المفكر الكندى Serge Proulx فى نموذجه le paradigm d usage et d appropriation الذى انطلق فيه من فكر ماكلوهان آخذاً بعين الاعتبار العديد من الانتقادات التى وجهت إلى نظرية الحتمية التكنولوجية.

إن المتأمل لباراديقم والتملك الذى جاء به Proulx يدرك أنه مزيج فريد من نوعه يخرج من مأزق الحتمية التكنولوجية التى تجعل الوسيلة الإعلامية، أو الاتصالية عموماً هى التى تسود إلى نموذج يذكرنا بـ Katz ونموذج والإشباعات. فقد ركز Proulxفى دراسته للاستعمالات الاجتماعية للتكنولوجيا الاتصالية على الفرد بعدما ركزت الدراسات التى تناولت من قبله تارة على التكنولوجيا نفسها، وتارة على طبيعة (أواخر التسعينيات وبداية سنوات الـ .(2000وحسب "Proulx فإن الحديث عن مايسميه الاستعمالات الاجتماعية لايستقيم إلا بعد مرور المستعملين بثلاث مراحل، وهى: مرحلة اكتشاف التقنية: وهى مرحلة جوهرية تتسم عادة بالتحاشى والإغفال المتعمد من طرف الأفراد؛ على اعتبار أن كل ماهو جديد يثر عادة الريبة والشك، ثم تأتى المرحلة الثانية: وهى الدخول فى حلقة ، وفيها يتم استخدام التقنية؛ ولكن هذه المرحلة أيضا تتسم بالتردد وعدم المواظبة فى الاستخدام، والضبابية فى الحكم على نجاعة التقنية، ثم تأتى المرحلة الثالثة:و التى تتجذر خلالها الاستخدامات، ويصبح بمثابة العادة الاجتماعية، وهى إذن مرحلة التبنى النهائى للتكنولوجيا والاستخدام المنظم والمنتظم للأدوات التقنية، شريطة تطويع هذه الأدوات لحاجيات المستعملين الخاصة واستعمالها وفقا لمتطلباتهم المخصوصة.

وبالنظر إلى عديد الدراسات التى أجريت فى بلدان عربية مختلفة، نجد أن استعمال الإنترنت لم يرتقِ إلى مرتبة العادة الاجتماعية حتى حدود 2008 و .2009 ففى الحالة التونسية مثلا أثبتت الدراسة التى أجريت حول الشباب الجامعى والميديا(السنوسى، 2009)أن نسبة استخدام الإنترنت كانت تفوق الـ 95%عند العينة المستجوبة، ولكن نسبة الانتظام فى الاستخدام لم تشمل سوى ثلث العينة.

كماحاولت الباحثة رسم جهاز للاستعمالات والتملك للعينة المدروسة، وتوصلت إلى أن مرحلةً هى فى طريقها إلى الانتظام والتجذر.

هذه النتائج قد تدعمت على أرض الواقع حيث برهنت الثورة التونسية التى لعبت فيها الرقمية و خاصة مواقع الشبكات الاجتماعية دوراً رياديا،أن الشباب العربى قد وصل بالفعل إلى مرحلة تبنى التكنولوجيات الرقمية وتجذر العادات ية لهذه التقنيات عند نخبة واسعة من المستخدمين استطاعت أن تطوع الإنترنت لخدمة حاجياتها المخصوصة .

إن الإستعمالات الاجتماعية الخاصة بوسائل الإعلام الجديد، وخاصة مواقع الشبكات الاجتماعية على غرار فيسبوك وتويتر فضلاً عن المدونات قد تطورت بشكل كبيرعند الشاب العربى، فقد بدأت طبيعة اتصالية بحتة غرضها التواصل مع الأصدقاء وربط علاقات اجتماعية جديدة فضلاً عن الحاجة إلى الترويح عن البال والمتعة النفسية دون نسيان الحاجة إلى المعرفة والمعلومة. إلا أن طبيعة الإستعمالات الاجتماعية بدأت تتغير منذ سنوات 2008و .2009 فقد مثلت هذه الفترة بداية منعرج حاسم فى تاريخ الرقمية للشباب العربى وعكست تغيراً فى حاجاته التى تجاوزت التوق إلى الاتصال نحو التوق إلى النضال وفتحت الإنترنت أبوابها لمختلف اشكال الاتصال السياسى حتى أصبحت مواقع الشبكات الاجتماعية تمثل مجالاً عاماً موازياً.

فى هذه الورقة العلمية سنحاول الوقوف عند أهم المراحل التى مر بها تاريخ الرقمية فى كل من تونس ومصر قبيل الثورة وأثناء قيام الثورات الحاسمة ثم مرحلة مابعد سقوط النظامين السياسيين فى البلدين تونس ومصر.نعتمد فى دراستنا لهذه المراحل المهمة فى تاريخ البلدين على قراءة متأنية للدراسات التى كتبت فى هذا السياق باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية. هدفنا فى هذه الورقة يتجاوز التأريخ لمرحلة ذهبية فى تاريخ الرقمية للشعوب العربية بل يطمح الى رصد طبيعة تطور الإستعمالات الرقمية فى النموذجين التونسى والمصرى ورسم جهاز للتملك و مخصوص لشباب النموذجين يغطى فترة 2008إلى .2011

حول مفهوم الإستعمالات

فى حين كان منبع الدراسات حول وسائل الإعلام الجماهيرية هى المنطقة الأنجلوسكسونية فإن الدراسات حول استعمالات تكنولوجيا الإعلام والاتصال تجسدت كحقل خصب فى البحوث الفرانكوفونية خاصة فى كبيك وفرنسا وبلجيكا. والملاحظ أن البحوث المنتجة فى مجال استعمالات وسائل

الإعلام والتكنولوجيا الحديثة تتميز بالتنوع والثراء سواء من ناحية مواضيع البحوث المختارة والإشكاليات المطروحة أو من ناحية المواقف والأسس النظرية التى أنبتت عليها. ولعل ما يميز هذه البحوث هو التداخل فى مفهوم الإستعمالات.

١- الإستعمالات أم الاستخدامات أم الممارسات ؟

يرجع Pierre Chambat (1994) التداخل والخلط فى مفهوم إلى لفظة الإستعمالات التى تستخدم إما لتوظيف التقنية أو ممارستها أو تملكها.

جدول استثمار كلمة إستعمال حسب .Chamber

المعنى الفرنسي في استعمال كلمة استعمال	الترجمة الحرفية بالعربية
Emploi	توظيف
Usage	ممارسة واستعمال
Utilization	استخدام
Appropriation	تملك
Apprentissage	حذق – تعلم

ونستطيع بدورنا إضافة كلمة استهلاك Consommation التى تعنى فيما تعنيه معنى الإستعمال للآلة أو التكنولوجيا عموماً.

أما الباحث Jouet فقد فرق بين مفهوم الإستعمال(Use / Usage)ومفهوم الممارسة (Practice-pratique- utilisation), حيث يقول " الإستعمال هو أضيق ونعنى به عادة الإستعانه بالتقنيات لعمل شيء ما بينما الممارسة هى أشمل، فهى مفهوم متبلور أكثر وتغطى الإستخدام وأيضاً السلوكيات والتصورات والمواقف التابعة للأشخاص الذين هم على علاقة مباشرة، أو غير مباشرة بالتقنيه (السنوسى، 2012).

إلا أن هذه التفرقة بين مفهوم الإستعمال والممارسة لم يقع تبنيها من طرف الباحثين فى حقل علوم الإعلام والاتصال وظل الغموض قائماً إلى حين ظهور مفهوم "الإستعمال الاجتماعية" social uses- les usages sociaux). وقد عرفLacroix هذا المفهوم الجديد بأنه نماذج استخداماتيه تظهر بصفة متكررة فتصبح شكلاً من أشكال العادة المنصهرة بما فيه الكفاية فى الحياة اليومية لتنسجم مع الممارسات الثقافية الموجودة من قبله وتفرض نفسها كممارسة اجتماعية وثقافية لها مكانتها وخصوصيتها ومقوماتها التى تجعلها تصمد أمام ممارسات ثقافية مستحدثة ومنافسة قد تطرأ عليها.

إن ثراء مفهوم الإستعمال وتعقد تركيبته جعله محل نزاع بين علماء الإجتماع وعلماء الاتصال حيث بقى فى مفترق الطرق بين سوسولوجيا الإستعمالات كما يراها "جوى" سنه 2000 وسوسولوجيا السياسية للاستعمالات كما يعرفها Vitalis سنه 1994والدراسات النقدية حول استعمال مفهوم الإستعمالات (Lacroix سنه 1992و Jeanneretسنة .2004

وإذا أردنا أن نلخص حول مفهوم الإستعمالات يجب الأخذ بعين الاعتبار جملة من الاعتبارات وهى: إن يحيلنا إلى استخدام وسيلة إعلامية أو تقنيه استخداماً يمكننا رصده وتحليله عبر الممارسات والتمثلات المخصوصة وإن الإستعمالات يصبح اجتماعياً عندما يتوفر عامل الإستقرار فيها,Stability ونستطيع أن نرصد الظروف الاجتماعية لظهوره وايضاً عندما نمتلك الآليات لإعداد نماذج يصبح الاستعمال الاجتماعى وفقها مقياساً من المقاييس للتعريف بالهوية الاجتماعية للأفراد.

٢- تطور الدراسات حول الإستعمالات

لقد برز معنى الإستعمالات أولاً فى علم الإجتماع الوظيفى وخاصة فى نظرية الإستعمالات والإشباعات uses and grat- ifications التى ظهرت لتفنيد الدراسات التى ركزت على قوة تاثير وسائل الإعلام فى نفسية المتفرج.

كما أصبح معنى الإستعمالات واضحاً فى نظريات الاستقبال مثل:Cultural studies وهو معنى يحيلنا إلى الاعتراف بالبنية الذاتية، أو البناء الذاتى للمعنى والممارسات ولكل ما له علاقة باستقلالية الفرد وحريته.

وفى فرنسا، ظهرت أول الإشكاليات المتعلقة بالإستعمال ضمن تيار " الاستقلالية الاجتماعية"l'autonomie sociale. وقد كان المنحى يتجه نحو اعتبار الديناميكية الاجتماعية المتصلة بتفكك الروابط الاجتماعية وأزمة المؤسسات، حيث تركزت الدراسات حول الظواهر الاجتماعية الجديدة والتى تتطلب ظهور ديناميكيات مستحدثة لإعادة الهيكلة الاجتماعية . reconfiguration sociale

ولقد تطور مفهوم الإستعمالات مع مرور السنوات وتم تناوله من عدة زوايا. و لعل أهم الإشكاليات التى لابد من الإشارة إليها فى هذا السياق هى أطروحة الإستعمالات و الإنتاج l'us- age et la production . و قد مثل هذا الشق أبحاث Michel

de Certeauوأطروحته عن المستعمل الذكى والمتحيل الذى استطاع الهروب من الخط الذى سطره له المبتكرون من خلال خلق استعمالات خصوصية لكل مستعمل حسب حاجياته.

هنالك أيضاً أطروحات التجديد، حيث تمت دراسة المستعمل الذى اكتسب مهارات ومستويات متقدمة تضاهى مستويات المهنين فى طبيعة الإستعمالات من جهة حذقه للتكنولوجيات ومسألة التجديد التقنى وقد برز مفهوم " المستعملون الزعماء" ,leaders users الذين بفضل خبرتهم ومهاراتهم فى مستوى منتوج تقنى معين، يشاركون فى بلورة خدمات جديدة بجانب المهنيينفى مجال التجديد التكنولوجى.

ومن جهة أخرى تناول Michel Beauالمسألة من زاوية الوسائط حيث ألحّ على أن المهنيين فى وسائل الإعلام ليسوا الوسطاء الوحيدين. والوسطاء حسب Bernard Miege هم كل من كانت نشاطاتهم تتمثل فى الإنتاج والنشر والترجمة فى الممارسة الاجتماعية وكل التمثلات والمعارف المعيارية التى تدفع للتعريف وإيجاد اتجاهات فى المجتمع(السنوسى، 2012).

أما Pierrault فقد تحدث عن ردة فعل المستعملين الأوائل للتقنيات، الذين يحاولون مواجهة ما سطر لهم من خطوط استخدام ويقدمون استعمالات جديدة ومستحدثة. ولذلك يقول Pierraultإنهم هم من اخترعوا الإستعمالات وصنعوها. ومن هنا تأتى أطروحته حول الإستعمالات والإبداع. وفى نفس الإطار يعرف Michel de Certauالإستعمالات فيقول بأنها ممارسات خلق وإبداع تساهم فى رسم ملامح الحياة اليومية ? 'invention du quotidien'اوهو ما يسميه بفن الإستعمال Art de faire'اكما ظهرت معه تسميه المستعمل النشط والحر، حيث أصبحت الإستعمالات بمثابة حركة مقاومة أو نضال وخلق جديد-Acte de création et de ré sistance (السنوسى، 2009).

إذن ما يجب أن نلح عليه فى هذا المقام هو أن علم اجتماع وغيره من الأطروحات التى تناولت مسألة استعمال التكنولوجيات الحديثة للإتصال قد جمع كثيراً من الباحثين الوافدين من حقول علمية متقاربة وبعيدة حول قطب بحثى مركز يهتم بعلاقة الفرد بالمعطى التقنى. وقد وضعت سوسيولوجيا الإستعمالات ظروف إنتاج التكنولوجيات الحديثة ونشرها فى فضاء معاصر وذلك من خلال إثارة مسألتين عميقتين: التكنوفوبيا (الخوف من التقنية) وهى المرحلة الأولى فى ويظهر فيها تحاشى وتخوف من المعطى التكنولوجى، وكذلك التكنوفيليا(هواة التقنية) وهى تضم فئة الهواة للتكنولوجيا والمقبلين عليها بشغف.وبربط علاقة الفرد بالتقنيه، بأبعاد أنتروبولوجيا المعرفة والمجال والوقت، مهدت هذه المقاربات لأطروحات جديدة تهم المسائل الاجتماعية والحاجة إلى التقنيه كبديل تعويضى ومفتوح يمهد للفعل Action ويستوعب النشاط.Activity

وقد نمت الحاجة إلى الكمبيوتر منذ انتشاره وأرّخ عدد من الدراسات لعلاقة الفرد بالحاسوب حيث حققت هذه الآلة العجيبة حاجات معرفية وعاطفية متنامية. وقد تطورت طبيعة الاحتياجات المرتبطة باستعمالات الحاسوب ومن خلاله الإنترنت والمجال الإفتراضى، وتبلورت حاجات مستحدثة تتعدى الرغبة فى الاتصال والمعرفة وربط علاقات افتراضية ضمن مجتمع موازٍ، لتصل إلى حاجات نضالية وجدت فى الفضاء الإلكترونى "الواب" مخرجاً ينقضها من عنق الزجاجة الذى وصلت إليه الحركات الاحتجاجية المتنامية نظراً لحالة اعدام الحريات وكبت جماح الألسنة فى المجال العام الواقعى.

حول طبيعة الإستعمالات الرقمية لدى الشباب العربى:

١- النموذج التونسى:

لم تكن المعلومة متيسرة للتونسيين على امتداد سنوات إلا من خلال قنوات الإعلام الرسمية التى كانت بارعة فقط فى تمجيد نظام الرئيس السابق وطمس الحقائق و تلفيق الأخبار بما يخدم النظام السياسى القائم آنذاك.هذه الأرضية جعلت الشباب التونسى يبحث عن فضاءات إعلامية أخرى متحررة من قيود السلطة الحاكمة، تنقل الحقيقة كما هى بدون تزييف أو تزويق. وهو ما جعله يشكل من خلال موقع فيس بوك فضاءً إعلامياً موازياً للفضاء الإعلامى التقليدى، متحرراً بذلك من الحجب والتعتيم(بن جبارة، .2013)

(*) ولادة الحاجة إلى النضال الإفتراضى :

إن حالة التعتيم الإعلامى والتضييق الفكر فى تونس ما قبل 2011دفعت الشباب الناشط والواعى إلى خلق مجال عام بديل عبر مواقع الشبكات الاجتماعية وكذلك من خلال المدونات.

ولابد من التذكير فى هذا السياق بأول الإحتجاجات الافتراضية فى تونس والتى سبقت ثورة 2011 فقد عهدت أجهزة الحكومة التونسية فى 2008 إلى حجب العديد من المواقع الافتراضية مثل "ديلى موشن"و"يوتوب"، كما شملت حملة

الحجب الافتراضية فى تونس موقع "فيس بوك" لفترة وجيزة.

انطلقت أول الاحتجاجات الافتراضية من المدونات والمجموعات المناهضة للحجب 404 الإلكترونية. وقد أخذت المدونات عدة تسميات، مثل:"نهار على عمار"، و"صفحة للدعاء على عمار ليلاً نهاراً "،ثم تلتها صفحات "سيب صالح يا عمار"، وعمار هنا هو إحالة لعملية الحجب الحكومية، أو ما يعرف بالرقيب عمار (بن جبارة،2013).

ورغم عمليات الحجب التى لحقت صفحات المدونين وبعض المواقع الاجتماعية، فقد تمكن بعض مستخدمى الإنترنت فى تونس من اختراق بعض المواقع المحذورة سياسياً والتى كانت تنشر حقائق متعلقة بأحداث الرديف 2008 أو ما يعرف بأحداث الحوض المنجمى وأحداث بن قردان.

كما وجد الشباب التونسى ملاذه فى صفحات "الفيس بوك" كوسيلة لمتابعة التطورات الأمنية والميدانية للتحركات الشعبية عبر ما يرسل، ويتم تداوله من مقاطع فيديو حية، وصور توثق لأحداث ميدانية، وصراع مباشر بين أجهزة القمع البوليسى للنظام آنذاك، والمتظاهرين العُزل، مما أدى إلى سقوط ضحايا لم تسمح السلطات التونسية فى ذلك الحين بالحديث عنهم.

كما عمدت إلى سجن أحد الصحفيين (الفاهم بوكدوس) لأنه قام بتغطية مباشرة لقناة الحوار، ونقل بالصوت والصورة بعض ما كان يجرى فى الحوض المنجمى.

وبالتوازى مع هذه الاحداث، تشكلت مجموعات افتراضية من الشباب للمطالبة بمزيد من حريات الإبحار على "النّت" بطرق فنية مبتكرة، مثل: الرسوم الكاريكاتورية، والموسيقى، والأغانى الثورية؛ من ذلك أغانى الراب التى انتشرت بكثافة منذ 2008 وهى أغانى تقوم على كلمات ثورية ساخطة على النظام،هدفها التشهير بأعماله،من اشهرها أغانى "الجنرال" أى المغنى حمده بن عون.

هذه الممارسات المستحدثة عبر المجال الافتراضى وجدت صدى كبيراً على الصعيد العربى والدولى ،حتى أن صفحات "الفيس بوك" أصبحت مرجعاً مهما تستقى منه عديد الفضائيات الإخبارية أنباءها، خاصة قناة فرنسا ?24وقناة الجزيرة القطرية، حيث كانت لقطات الفيديو والصور والشواهد المنشورة عبر مواقع التواصل الاجتماعى، تؤثث نشرات الفضائيات الأخبارية الأجنبية.

وكردة فعل عن هذا الإستقطاب "الفيسبوكى" للقنوات التلفزية المذكورة عمدت السلطات التونسية بعد أحداث سيدى بوزيد، أى عند انطلاق شرارة الثورة التونسية، إلى انتقاد وسائل الإعلام العربية والأجنبية، وأتهمتها بالتهويل والتحريض، كما شنت حملة إعلامية كبيرة عبر جميع القنوات التلفزية التونسية بدون استثناء، ضد قناة الجزيرة. كما تعرضت بعض الصحف الإلكترونية والمجموعات على "الفيسبوك" وبعض المواقع الشخصية لعدد من المدونين، وشنت حرباً ضد منظمى حركة "anonymous" الافتراضية والمدون سليم عمامو الذى تقلد منصب وزير الرياضة، مباشرة بعد سقوط نظام بن على، فى أول تشكيلة حكومية تونسية جديدة فى .2011 كما تم اعتقال مغنى الراب حمده بن عون إثر أغنيته "رئيس البلد".

إن أهم ما يمكن أن نخلص إليه فى فترة ما قبل ثورة تونس، هو أن الحاجة إلى التعبير والتنفيس هى التى خلقت نوعية من الإستعمالات الرقمية المخصوصة لدى الشاب التونسى، ومهدت لتطور هذه التى أصبحت تتجذر شيئاً فشيئاً منذ 2008كردة فعل أمام الفساد والكبت والحرمان الذى فرضته السلطة الحاكمة آنذاك. ومع نهاية 2010أصبح بإمكاننا أن نتحدث عن وجود استعمالات اجتماعية، حيث أصبح الإبحار على الأنترنت عادة وحاجة لا غنى عنها، بعد أن نجح الشباب التونسى فى تطويع مواقع الشبكات الاجتماعية للاستجابة لحاجاته واستثمارها لخدمة أهدافه، والاستجابة إلى ضروریاته التى أصبح النضال على رأس قائمتها. هذه العادات یة الرقمية وصلت إلى أوج عطائها مع الإنطلاقة الفعلية للثورة التونسية يوم 17ديسمبر .2010

(*)أيام الثورة التونسية: ثورة "الفيسبوك" أم "فيسبوك" الثورة؟

إن الدور الريادى الذى لعبته مواقع الشبكات الاجتماعية وعلى رأسها موقع "فيسبوك" جلعت كثيرٌ من الباحثين الفرنكوفيين على وجه الخصوص، يهللون "بثورة الفيسبوك" و"ثورة الإعلام الجديد"...إلخ.

إلا أن الكتابات العربية، وحتى الأنجلوسكسونية قد وصفت الإنترنت بدور الوسيط تارة، ودور الآلية الاستراتيجية لحركات النضال السياسى فى تونس تارة أخرى. حيث برز دور مواقع الشبكات الاجتماعية كأداة تعبئة وحشد للجماهير الغاضبة.

ونحن إذ نستعرض أهم ما ورد من استعمالات فى الدراسات التى تعرضت للثورة التونسية، سنحاول الوقوف عند الدور

الفعلى الذى لعبه "الفيسبوك" وغيره من المواقع الفاعلة فى الثورة.

أولاً: لابد أن نؤكد أنه رغم كل التضييقات المفروضة من طرف السلطات التونسية أواخر سنة 2010 فقد نشطت عديد المواقع الاجتماعية، مثل: صفحة "أخبار تونس"، وكذلك" يوميات الأحداث فى سيدى بوزيد" و "أحرار تونس" و "ابتسم أنت ليست من سيدى بوزيد" .... وغيرها. وقد تحولت كل هذه الصفحات إلى وكالات أنباء حقيقية تورد تقاريرها بالصوت والصورة اعتماداً على الأجهزة التكنولوجية ووسائلها، من تناقل الوقائع والأحداث زمن اندلاع الثورة.

هذا الدور السياسى الذى لعبته شبكات التواصل الاجتماعى أثناء أحداث الحوض المنجمى 2008، كان المحرك الفعلى لإرادة التونسيين الذين تمت إنارتهم من خلال الفيدوهات التى تم نشرها عن الفساد، و عن سياسة الترهيب التى كان يمارسها الأمن التونسى بهدف إخماد الثورة. فقد وصلت الجماهير بفضل السياسية للفضاء الافراضى، إلى حالة من الوعى استحال معها السكوت والإنبطاح.

مثّلت حادثة البوعزيزى، الشاب التونسى الذى قام بحرق نفسه أمام بلدية مدينة سيدى بوزيد، فى حركة يائسة تندد باالحالة الاقتصادية المتردية والحالة الاجتماعية المزرية فى البلاد، نقطة تاريخية فاصلة، فى تاريخ تونس الحديث وفى تاريخ الرقمية للشباب التونسى.

إن أول من نشر صور الاحتجاجات الشعبية التى تلت حرق البوعزيزى نفسه فى منطقته هى مواقع التواصل الاجتماعى من خلال لقطات الفيديو التى سجلت عمليات القمع التى مورست ضد المتظاهرين فى "سيدى بوزيد". و سرعان ما تداولت هذه الصور وسائل الإعلام الأجنبية، وأولها قناة فرنسا 24التى كانت تؤثث نشراتهاحول الخبر بصور وفيديوهات مأخوذة من " الفسبوك والتوتير". وهو ما يبرهن قوة هذه الوسائل الاتصالية البديلة.

يقول Castells(Casstells, 2006) فى هذا الصدد: "إن الشبكات الاجتماعية لها قدرة لا مركزية على التشبيك والتنسيق واتخاذ الإجراءات". وهو ما تخوله مرونة هذه المواقع التى قدمت مجموعة من المناورات التكتيكية للحركات الاجتماعية حتى تسير فى تحقيق أهدافها. وقد اتضح ذلك جلياً من خلال المثال التونسى ومن بعده المصرى.

إن طبيعة الإستعمالات الرقمية التى أخذت طابعاً مسيسا منذ انتفاضة الحوض المنجمى أعطت للمواقع الاجتماعية أدواراً محورية. تتمثل هذه الأدوار فى إيصال المعلومة إلى أكبر عدد ممكن من التونسين و غيرهم من المبحرين، سواء بغرض إعطاء بسطة عن آخر الأنباء ونقل ما يدور من أحداث، وهودور إخبارى إعلامى تدعمه صحافة المواطن ,أو بغرض الدعوة إلى التظاهر والتنسيقبين الشباب الثائر، قصد تحديد أماكن التظاهر وتوقيتها، إضافة إلى توحيد الشعارات والهتافات، وهو دور تعبوى، يدخل فى باب النضال السياسى الافتراضى الذى أتاحته تكنولوجيات الاتصال الرقمية.

لقدت جسدت الإنترنت قوة إتصالية عظمى ساهمت فى تدفق المعلومات، وهو ما أطلق عليه "هبرماس" لفظ" التفاعلية التحادثية" .هذه القوة الاتصالية سمحت بتعبئة الرأى العام داخل تفاعلات الفيسبوك للمطالبة بالحقوق المنقوصة فى الواقع.

وقد امتزج الدوران الإخبارى والتعبوى فى مواقع التواصل الاجتماعية، حيث تتم عملية تعبئة الحشد افتراضياً عبر الدعوة إلى ترجمة الاحتجاجات الافتراضية على أرض الواقع والتحول من المجال العام الافتراضى إلى المجال العام الواقعيللتظاهر. أما أثناء التظاهرات والإحتجاجات، فيخرج الشباب الناشط افتراضياً إلى الشارع ليشارك فى رفع الشعارات وتأجيع الحماس والروح النضالية ولكن أيضاً لتوثيق هذه الاحتجاجات عن طريق تسجيل لقطات فيديو وعدسات الكاميرا أو عبر الهواتف النقالة لنشرها على مواقع الشبكات الاجتماعية إبان الإنتهاء من الاحتجاجات مرفوقة بنصوص أوتعليقات اومقالات تحليلية .... إلخ.

إن السمة الغالبة على طبيعة الفيسبوكية أثناء الثورة التونسية هى التداخل والتعقيد حيث يتماهى فيها "المواطن المتصل" "بالمواطن الصحفى"،بالمواطن المناضل"، وتمتزج وظائف مواقع التواصل الاجتماعية بين تلبية الحاجات الاتصالية والثقافية وتلبية متطلبات إخبارية فضالية تعبوية.

ولهذه الأسباب نرى أن تسمية "ثورة الفيسبوك" لا تستقيم نظراً لأنها "تقزم" حجم الإرادة الشعبية الكامنة وراء التغيير. أما الحديث عن "فيسبوك الثورة"، فهو فى رأينا ينسجم مع الإطار العام الذى قامت فيه الثورة التونسية. "فيسبوك الثورة" هو ترجمة عن مدى استثمار الشباب التونسى الواعى والناشط

لتكنولوجيات الاتصال، من أجل خدمة حاجاته النضالية وتحقيق رغباته التعبوية افتراضياً كخطوة نحو ترجمة "الفعل الافتراضي" إلى "فعل واقعي" يجر إلى التغيير.

(*) ملامح فيسبوك ما بعد الثورة :

اتسمت مرحلة ما بعد الثورة بشح الكتابات حولها باستثناء بعض الدراسات التى تناولت مضامين ما يُروج له من خلال الصفحات الاجتماعية وخاصة فيس بوك وقد تناولت بصفة مقتضبة طبيعية .

أكدت ليليا بليز (Bliz, 2001 صحفته بجريدة Stateafrique الإلكترونية مثلا، أن استعمالات الفيسبوك بعد الثورة اتخذت منحى آخر، حيث شهدت الصفحات الاجتماعية حالة من الفوضى نتيجة تصادم وجهات النظر وتفاد الخطابات والأخبار. كما كثرت صفحات الهجوم والشتائم ضد الأحزاب والشخصيات البارزة فى الساحة التونسية، وهو ما جعل بعض المدونين يتحدثون عن موضة إنشاء صفحات مضادة كصفحة "ارحل بوريس بوراون" التى أنشأت على أثر فضيحة ضد صحفية بإذاعة شمس أف أم التونسية. وقد ضمت هذه الصفحة 16000معجب .(Like)

كذلك ندرج فى هذا السياق موقع الشتائم TAKRIZعلى التويتر، وموقع "المؤامرة من أجل الجمهورية" على الفيسبوك الذى أنشأ خصيصاً لإنتقاد حزب المؤتمر من أجهل الجمهورية، وهو ثانى حزب فى الترويكا الحاكمة. وهو كذلك حزب رئيس الجمهورية المؤقت بعد الثورة.

إن حالة "الفوضى الخلاقة" التى عقبت الثورة التونسية فى صفحات مواقع التواصل الاجتماعى، أعادت السؤال حول مصداقية ما ينشر فى المجال الافتراضى ولفتت الانتباه نحو استعمالات سياسية أو مُسيّسة تعمل لحساب أجندات ضيقة المدى، وأطراف سياسية تمهد لثورة مضادة وهى أطراف لم تنجح فى الحصول على مقاعد فى المجلس التأسيسى فى 23 أكتوبر ?2011أو التى لم تحصد سوى نسب دون انتضاراتها، وهى ما أطلق عليها اسم أحزاب (الصفر فاصل)".....",0

لم تعد تركز فى بعدها السياسى على "تونس" والمصلحة الوطنية العليا، وإنما وجهت طبيعتها إلى أبعاد دعوية لأطراف سياسية معينة فأضحت جهازاً دعائياً بامتياز وآلية استراتجية للحملة الانتخابية من طرف مختلف الأحزاب السياسية وتنظيمات المجتمع المدنى، وهو ما وصفه المدون "ماهر تيكاكيا" بلفظ "الفسيبوكراتية"، واصفاً الفيسبوك بأنه أداة بروباقندا، هدفها التأثير فى الرأى العام واستمالة تعاطفه، ومن كسب ثمة صوته فى الانتخابات. نذكر من هذه الصفحات، صفحة حركة النهضة، الحزب الحاكم فى تونس ما بعد انتخابات 23أكتوبر 2011 التى جمعت 63788 معجب دون احتساب المعجبين فى صفحة الفنوشى الرسمية .(147694)

يتجسد المستوى الموالى للاستعمالات من خلال ما يقوم به من يعرفون بفلول النظام السابق، أو ما تبقى منه، ويتمثل أساساً فى بث ونشر أخبار كاذبة حول محميات مزعومة من جهات معينة أو اتهام بعض الوجوه السياسية بالإنتماء إلى الماسونية أو التطرف.)..Diem (Carpeإلخ.

إذا أردنا أن نلخص أهم الاستعمالات التى طغت على نشاط التونسيين المنخرطين فى الفيسبوك قبل الثورة، وأثناءها وبعدها، يمكننا أن نؤكد على أن الحاجة إلى الرقمية أدركت منعرجاً مهماً من حيث طبيعتها وصبغتها، حيث لم تعد متطلبات الشباب التونسى منحصرة فى الرغبة الاتصالية بالآخر كحاجة اجتماعية بالمعنى الخلدونى للكلمة "الإنسان كائن اجتماعى بطبعه"، مثلما كان الحال قبل إنتفاضة الحوض النجمى لـ ?2008بل أصبحت إلى حدود 2011,تهدف إلى إشباع رغبات جديدة وتلبية متطلبات مستحدثة تتمحور كلها حول الظمأ السياسى والوازرع النضالى.

أما مرحلة ما بعد الثورة، فقد اكتست الإستعمالات صبغة فوضوية يمكن أن نصنفها بمرحلة الفوضى الخلاقة التى تسبق مرحلة التنظيم. فالتونسيون لم يتعودوا بعد على مناخ الحرية التى اقترن مفهومها فى أذهان كثير من المستعملين، بالفوضى وعدم المسؤولية.

ووسط هذا السيل من الفوضى، برزت استعمالات من نوع آخر اقتضتها طبيعة المرحلة الإنتقالية بالبلاد، وهى "البروباقندا الفيسبوكية"، وغرضها الدعاية السياسية التى اقترنت بحملات تشويه، ومحاولات الدعوة لثورة مضادة من طرف أحزاب المعارضة من جهة وبقايا النظام السابق من جهة أخرى.

وسؤالنا فى هذا المقام يتجه نحو الأنموذج المصرى، وتحديداً حول نقاط الإئتلاف ونقاط الإختلاف مع الأنموذج التونسى للاستعمالات.

٢- النموذج المصرى:

نمو الحس الوطنى لدى الشباب المصرى:

تناولت العديد من الدراسات أهمية شبكة الإنترنت فى

المجتمع المصرى وقدرتها حتى قبل الثورة على التفاعل مع جميع الأحداث السياسية والاجتماعية المهمة التى كان لها أثر كبير فى تشكيل الرأى العام فى كثير من الأوقات، ويمثل طلبة الجامعات أحد أهم الفئات التى تأثرت بشبكة الإنترنت إيجاباً، حيث فتحت لهم باب النقاش السياسى فى العديد من القضايا والموضوعات (جنيد، 2003).

وقد خلقت المواقع الاجتماعية تحديداً مجالاً عاماً للشباب المصرى لتناول القضايا السياسية المسكوت عنها فى وسائل الإعلام التقليدية، وبذلك قدمت ما يمكن تسميته بالخطاب السياسى البديل القادر على تحدى الخطاب السياسى الرسمى (Mansour, 2012 بتمكين جميع المستخدمين من وضع ملايين من روابط المقالات ومقاطع الفيديو والروابط الأخرى الكاشفة عن شتى أنواع الفساد السياسى فى المجتمع المصرى. (Bhuiyan,2011)

وكما الشأن فى تونس، شهد عام 2008 أول محاولة للنشاط السياسى فى المواقع الاجتماعية فى مصر، حيث أنشأت الناشطة السياسية إسراء عبد الفتاح مجموعة نقاشية فى موقع فيس بوك تدعو فيها الشعب المصرى إلى التضامن مع عمال الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى فى دعوتهم إلى الإضراب العام، وقد جذبت الصفحة إليها حوالى 70ألف مؤيد .-Wi (Eltantawy & est, 2011)

ويرى الباحثون أن التحول الدرامى فى توظيف المواقع الاجتماعية والمجموعات النقاشية توظيفاً سياسياً جاداً قد بدأعام 2010عندما استغل النشطاء السياسيون حادثة مقتل الشاب خالد سعيد على أيدى قوات الأمن المصرية فى إشغال غضب المصريين تجاه نظام مبارك، وذلك بإنشاء صفحة " كلنا خالد سعيد" فى موقع فيس بوك.

وقد نجحت المجموعة النقاشية نجاحاً كبيراً أثناء الثورة فى توظيف أشكال متنوعة من النصوص المرئية لإثارة حالة النقاش السياسى الافتراضى بين المستخدمين، والتى تضمنت صور شهداء ومصابى الثورة، وقد لوحظ تكرار تلك الصور لتحفيز وإيصال حالةالنقاش السياسى بين المستخدمين إلى الذروة، وخلق مجال عام سياسى افتراضى. (أسعد، (2013) وقد جذبت المجموعة منذ انطلاقها حوالى خمسمائة ألف مشترك، حتى وصل عدد مستخدميها حتى الآن حوالى أكثر من ثلاثة ملايين مستخدم، معظمهم من الشباب.

كما استفادت الحركات والتنظيمات السياسية المعارضة من تكنولوجيا المواقع الاجتماعية فى التواصل مع المستخدمين، وتنظيم الاجتماعات السياسية، والدعوة إلى حشد كثير من التظاهرات والاعتصامات، خصوصًا فى الفترة من 2008 إلى 2010وذلك لتفادى كثير من الملاحقات السياسية والقانونية التى قد يتعرضون لها فى حالة قيامهم بممارسة تلك الأنشطة فى الواقع. (Khamis,Gold&Vaughn, 2012; Iskander, 2011)

فقد استطاعت حركات سياسية معارضة لنظام حكم مبارك مثل حركتى كفاية والسادس من أبريل أن تستخدم الإعلام الاجتماعى لتوسيع شبكاتها من المصريين الساخطين على النظام السياسى آنذاك، وأن تكون وسيطاً بينها وبين النشطاء السياسيين وبين زعماء المعارضة فى مصر، فقد وفر الإعلام الاجتماعى لقادة الحركات المعارضة الوسائل التى عبروا فيها عن عدم رضاهم عن النظام السياسى بطرح العديد من القضايا والموضوعات السياسية، وتحويل النشاط السياسى الافتراضى إلى تظاهرات حقيقية فى شوارع مصر، كما ساعدت المواقع الاجتماعية فى دمج العديد من الحركات السياسية المعارضة بشكل واسع.(Lim,2012; Chebib& Sohail, 2011) ومكنت المرأة المصرية أيضا من التعبير عن آرائها والمشاركة فى الأنشطة السياسية بقوة.(2012). Tufekci & Wilson,

استفادت كذلك جماعات الإسلام السياسى كجماعة الإخوان المسلمين من هامش الحرية الكبير المتاح على شبكة الإنترنت فى إبراز أنشطتها السياسية للجميع، ورغم المكاسب التى حققتها فى ظل الإعلام البديل، إلا أنها واجهت مجموعة من السلبيات، من أهمها أنها أتاحت المساحة لظهور انتقادات داخلية لفكرها وقادتها، ولاسيما من جانب الشباب. Ajemian, 2008

من جهة أخرى فقد اكتسب الشباب والنشطاء السياسيون الكثير من المهارات الفنية التى مكنتهم فيما بعد من حشد الجماهير ومواجهة الأنظمة السياسية القمعية، وقد ساهم ذلك فى ظهور مفهوم النشاط السياسى عبر شبكة الإنترنت Cyber activism.(Khamis, Gold & Vaughn,2012)

لقد نمت الإستعمالات الرقمية فى مصر وأخذت منحى سياسياً بداية من 2008 حيث ولدت الحاجة إلى الاتصال السياسى الافتراضى كبديل عن الاتصال السياسى المبتور فى المجال العام الواقعى.

والجدير بالملاحظة فى هذا المقام أنه رغم اختلاف المكان،

فإن تاريخ الخاصة بمواقع الشبكات الاجتماعية فى مصر وتونس كان متماهياً منذ البداية، حيث مثلت سنة 2008؟ منعرجاً تاريخياً ساهم فى تغيير ملامح الإستعمالات الرقمية لدى الشباب التونسى والمصرى بشكل متواز ومتزامن.

وفى رأينا، فإن هذا التوازى هو نتاج لمُناخ سياسى منغلق وفاسد فى كلا البلدين، وهو ما خلق نوعاً من التعاطف والتكاتف بين شباب البلدين دعمته شبكات التواصل التى اخترقت قيمتى المكان والزمان.

بقى أن نتثبت من درجة هذا التطابق وهذا التزاوج الفكرى والنضالى بين الشباب المصرى والتونسى من خلال التعمق فى آليات النضال الافتراضى التى ارتكز عليها المصريون لتغيير النظام. وذلك من خلال دراسة فترة تأجج الاحتجاجات إلى سقوط النظام المصرى فى 11فبراير .2011

الإستعمالات الرقمية أثناء فترة تأجج الاحتجاجات:

استطاع الإعلام الاجتماعى أن يكون له أثراً كبيراً فى عملية الاتصال الجمعى فى المجتمعات المعاصرة، خصوصا فى عملية الاتصال السياسى، فموقعى تويتر وفيس بوك من المواقع التى أثرت بشكل غير مسبوق فى تشجيع كلا من عملية النقاش والمشاركة السياسية. (Stieglitz,2012)

ارتفعت معدلات استخدام موقع فيس بوك فى تونس بزيادة وصلت إلى 8% خلال الأسبوعين الأول والثانى من يناير2011 صاحبه تغير فى نمط الاستخدام الذى تحول من الاستخدام الاجتماعى إلى الاستخدام السياسى.وقبل أسبوع من تنحى مبارك عن الحكم، ارتفعت معدلات التغريدات من مصر التى تناولت الأوضاع السياسية فى البلاد من 2300تغريدة يوميا إلى 230000ألف تغريدة فى اليوم. (Safranek,2012)

ساعدت المواقع الاجتماعية المتظاهرين فى إقامة صلات وشبكات واسعة وقوية بين المتظاهرين بعضهم بعضاً، كما أنها كانت مؤثرة بشكل كبير فى عملية الحشد الذى ساهم فى إسقاط الأنظمة السياسية الحاكمة فى تلك الفترة. حيث جعل السلوك السياسى أسهل وأسرع وأكثر شمولية، ومكن النشطاء من الإلتفاف حول أساليب النظام السياسى القمعى، وإقناع المستخدمين فى شبكة الإنترنت للتحرك وأخذ مبادرات فى الـــواقع. (Eaton, 2012; Mansour,2012; Gawhry, 2012; Rashid,2012)

فقد توافد كثير من المتظاهرين إلى ميدان التحرير فى اليوم الأول للثورة بعد قبولهم دعوة انطلقت من موقع فيس بوك للمشاركة فى التظاهرات.(Tillinghast,Jose,Sanchez, Gerring& Hassan, 2012)

أمدت مواقع الشبكات الاجتماعية المتظاهرين بالأخبار والمعلومات التى لم تكن من السهل على وسائل الإعلام التقليدية الوصول إليها أثناء ثورتى تونس ومصر. (Mansour,2012; Gawhry,2012;Dewey,2012, Tufekci & Wilson,2012)

وتغيرت بالتالى الممارسات والقيم المهنية لتغطية الصحفيين للأخبار، والتى أصبح فيها الاعتماد الرئيس على المواطن نفسه، وعلى شبكات الاتصال التى أخذت مكانها فى المواقع الاجتماعية. (Russell, 2011)فقد مكن موقع يوتيوب You-tubeالمستخدمون من معرفة ما يحدث من تطورات للأحداث أثناء الثورة بالإضافة إلى روابط الشبكة، والمقالات ومقاطع الفيديو فى فيس بوك وتويتر، بالإضافة إلى توظيف خدمات الهواتف المحمولة لرصد جميع أحداث الثورة أولاً بأول ونقلها إلى تلك المواقع. (Bhuiyan,2011; Tufekci&Wilson, 2012; Chebib&Sohail,2011)

فقد غير استخدام الإعلام الاجتماعى فى الثورة المصرية من ديناميكية الحشد الاجتماعى، لكونه أتاح السرعة والتفاعلية التى كانت مفتقدة فى أدوات الحشد التقليدية، حيث تم تبادل وإرسال المعلومات بشكل سريع لملايين من المصريين داخل وخارج مصر، كما تم استخدام الإعلام الاجتماعى لنشر أى معلومة قد تحمى المتظاهرين أثناء التظاهرات.(Eltantawy & Wiest, 2011)

دفعت مواقع الشبكات الاجتماعية الشباب المصرى لإنتاج ونشر محتويات مرئية تمثلت فى الصور ومقاطع الفيديو بتكاليف ضئيلة، وبذلك فقد انتقل الإعلام التقليدى الذى كان يعتمد بالدرجة الأولى على القائم بالاتصال إلى المواطن الصحفى الفعال القادر على إنتاج أى مضمون ونشره دون مواجهة أى نوع من القيود السياسية أو التحريرية. (Tufekci & Wilson, 2012)

ساعدت المواقع الاجتماعية المتظاهرين فى الأمور اللوجستية والفنية أثناء الثورة المصرية، وذلك فيما يتعلق بامداد المتظاهرين بالدواء والغذاء، وخطط للتحركات لمواجهه رجال الشرطة، وإرشادات عامة للمتظاهرين فى حالة القبض عليهم.

Tillinghast et al., 2012; Russell, 2011; Sheedy, 2011))

كان استخدام اللغة الإنجليزية من قبل كثير من الشباب المصرى بهدف تعريف العالم بالأحداث السياسية فى مصر. ((Sheedy,2011وجذب الاهتمام القومى والدولى لمعاناة المتظاهرين، كما أثر إيجاباً فى الرأى العام الدولى. وهنا نلاحظ نقطة فاصلة من حيث الآليات ، فقد ركز "المناضلون" التونسيون على اللغة الفرنسية، إضافة إلى اللغة العربية، بينما كانت التغطيات والتغريدات المكتوبة باللغة الإنجليزية ضئيلة، وهذا راجع للإرث الحضارى الإستعمارى الذى تركته انجلترا لمصر وفرنسا لتونس، وهو ما يعكس الكم العددى الفائق الذى لاحضناه فى الكتابات الفرنسية والذى يتناول مسالة الثورة التونسية، بينما الحديث عن ثورة مصر فى الدراسات المحررة باللغة الفرنسية كان محدوداً نسبياً على عكس المراجع الانجليزية الغزيرة التى توفرت.

مرحلة ما بعد التغيير: الطبيعة التعددية للإعلام الاجتماعى

أتاحت المواقع الاجتماعية مساحة مميزة للتدفق الحر للمعلومات، لجميع المصريين، الذين أصبحوا أكثر وعياً وقدرة على استيعاب الكثير من المعلومات ووجهات النظر فى تلك المواقع. (Gawhry,2012; Bhuiyan,2011)

ساعد النشاط السياسى على شبكة الإنترنت فى مصر والعالم العربى فى نمو شكل جديد من الحركات السياسية، والتى عكست الطبيعة التعددية للإعلام الاجتماعى، مساهمة فى خلق نموذج القيادة السطحية جعلت من الصعب على الحكومات الديكتاتورية أن تواجهها، حيث أن تلك القيادة لا تعتمد على نظام هرمى قوى للتنسيق بين أنشطتها(. (Eaton, 2012

استطاع الإعلام الاجتماعى تحويل السلطة من أيدى النظام السياسى إلى المواطن العادى الذى تم إقصاؤه من المشهد السياسى قبل الثورة، ودفعه نحو فرصة أكبر للمشاركة السياسية، كما أنه ساعد فى تنمية الروح الجماعية الإيجابية للفرد بدلا من الفردية التى كانت سائدة قبل الثورة.(Chebib& Sohail, 2011)

ومن التحديات التى يفرضها الواقع الافتراضى الجديد، احتمالية أن يؤدى الانخراط فى مجال الفضاء الإلكترونى باعتباره مجالاً مفتوحاً يشارك فيها الجميع قوامها المساواة بغض النظر عن أية اختلافات، إلى انصراف الشباب عن الأشكال التقليدية للمشاركة العامة والنزوع إلى التواجد الافتراضى. (وردانى، .(2010كما تتمثل التحديات الأخرى فى وجود صعوبتين أساسيتين تواجهان استخدام المواقع الاجتماعية، وهماالقدرة على الوصول للإنترنت،وامتلاك المهارات اللازمة لاستخدامه بكفاءة.((Brian, 2001

الخاتمة

بفضل الثورة التونسية ومن بعدها الثورة المصرية أصبح بامكاننا أن نجزم بأن مفهوم الإستعمالات الاجتماعية الرقمية قد تجذر، وأصبح استعمال الإنترنت عادة أو ما يشبه العادة عند الشباب فى البلدين.

وقد ساعدت الظروف السياسية السائدة قبل الثورتين فى بلورة هذا المفهوم، إذ أصبح الفضاء الافتراضى مجالًا عاماً بديلاً. وتطورت الحاجة إلى الإستعمالات الرقمية من المستوى البدائى Primitif الذى يتجسد فى الرغبة فى ربط علاقات بالآخر وهى حاجة اجتماعية ونفسية، إلى مستوى وسيط Intermediaire تعكسه رغبات معرفية كالتوق إلى المعلومة بمختلف أنواعها، إلى مستوى أعمق وأكثر تجذرًاProfond تطورت بمقتضاه الحاجة المعرفية ونضجت لتحاكى مقتضيات المرحلة التاريخية والمناخ السياسى فى كلا البلدين، فتولدت الحاجة إلى النضال كردة فعل لسياسات التكميم التى تطغى فى العديد من البلدان العربية، وليست فى تونس ومصر فحسب.

وفى حين اكتسبت الإنترنت قوة عظيمة كآلية للتغيير السياسى فى البلدين، عكست مرحلة ما بعد الثورة حدود مواقع الشبكات الاجتماعية التى أصبحت فوضوية بامتياز، وهو ما يحيلنا إلى الاستنتاج بأن للاستعمالات طبيعة متغيرة ومنقولة، ومتلونة بالمناخ السياسى والثقافى والإقتصادى الذى يعيش فيه المستعملون. إذ لا يمكن فهم الرقمية إلا من خلال تنزيلها فى سياقها الاجتماعى الثقافى والاجتماعى السياسى.

إن مفهوم الاستعمالات لا يمكن دراسته كمفهوم مطلق Ab-strait أى لذاته لأن الاستعمالات المدروسة فى الحقيقة هى ليست إلا ممارسات مؤشرة indice لا تنبؤنا فقط حول هوية المستعمل وإنما حول سياقه المكانى والزمانى.

إن دراسة تاريخ الاستعمالات الاجتماعية يمكن أن يفضى بنا إلى المعادلة التالية: قُلْ لى كيف تستعمل؟ أقُلْ لك مَنْ أنت.

المراجع العربية:

- إبراهيم، عماد) ،)2009أثر استخدام الفيس بوك على سلوك طلبة

الجامعات ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.
- التويجرى، توفيق) ,)2009الفيس بوك والإتجاهات السلوكية، مجلة الصحة النفسية، جامعة القاهرة، عدد 8 مصر.
- الصباغ، عدنان ,)(2010وسائل الإتـــصال والتكنولوجيـــا الحديثـــة، مجلة العلوم التكنولوجية، عدد 8 جامعة البتراء، عمان.
- العتيبى ، جارح) ,) 200 8تأثير الفيس بوك على طلبة الجامعات السعودية ، رسالة ماجستير ,كلية الآداب، جامعة الملك سعود ,الرياض.
www.jaidel.maktoobblog.com-20-04-2011
- الحسان جناتي ,ادوار الشبكات الاجتماعية في الثورات العربية وحدودها:
www.jaidel.maktoobblog.com-20-04-2011
- الصمادي ,الزعبي ,أثر الإرشاد الجمعي بطريقة العلاج الواقعي في تنمية المسؤولية الإجتماعية لدى عينة خاصة من الطلبة الأيتام ، دراسة تجريبية ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة عين شمس.2007 ,
- النيرب،باسط ,الإعلام الإجتماعى إعلام تغيير ,مجلة البيان الإلكترونية, العدد :284
http://albayan.co.uk/MGZarticle 2.aspx
- أولجا جوديس بيلى، بيلى كاميرتس، نيكوكاربنتيير(2009) فهم الإعلام البديل"، ترجمة: علا أحمد صلاح، القاهرة، مجموعة النيل العربية.
- السنوسي ,ثريا ,الاتصال الشبابي و الميديا ,المجلة التونسية للاتصال, معهد الصحافة و علوم الاخبار -,تونس2010 ,
- السنوسي ,ثريا ,صحافة المواطن و اعادة انتاج الادوارا ,المجلة التونسية للاتصال ,معهد الصحافة و علوم - الاخبار ,تونس .2011,
- الحيدرى ,عبد الله زين ، الإعلام الجديد: النظام والفوضى، أبحاث المؤتمر الدولى، "الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة ... لعالم جديد"، جامعة البحرين، من 9-7أبريل .2009
- الغزى ، ناجى ، دور الإعلام فى الاتصال السياسى وأثره على الجمهور ، الحوار المتمدن ، العدد
2524 - 2009 /1/12
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp aid=159303
- العياضى، نصر الدين ، الرهانات الإبستمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفى: نحو أفاق جديدة لبحوث الإعلام والإتصال فى المنطقة العربية، أبحاث المؤتمر الدولى، "الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة ... لعالم جديد"، جامعة البحرين، من 9-7أبريل .2009
- القادرى،نهوند، قراءة فى ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوف التفكيك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، .2008
- الحاف، عبد الله ، أميرة ، دراسة نظرية فى مفهوم الإعلام السياسى 28 أوت 2012. http://kawanakurd.com
- النورى، مزهر، العبث وضرورة وعى العلاقة بين النضال والإعلام الإجتماعى، شبكة البصرة، 28تشرين الثانى .2012
- العبد لله،مى، الإتصال والديمقراطية، بيروت، دار النهضة العربية، 2005.
- أسعد، عمرو، دورالنصوص المرئية بمواقع الشبكات الاجتماعية في تحفيز النقاش السياسي الافتراضي: دراسة حالة على مجموعة " كلنا خالد سعيد". ورقة مقدمة في الملتقى الدولي الأول: الصورة والحدث في الإعلام الجديد. (الجزائر 7- 8مايو .(2013
- بن جيارة ,أسماء ,درو مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك في الثورة التونسية
www.saoudelmawla.blogspot.ae/2013/05/blog-post _9453. html#links
- جنيد حنان، تكنولوجياالاتصالالتفاعلي (الإنترنت) وعلاقته بدرجة الوعي السياسي لدى طلاب الجامعة المصرية: دراسة ميدانية على طلاب الجامعات الخاصة المصرية. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد١٨، يناير- مارس٢٠٠٣.
عبد الرحمان ،حمدى ، العرب ومصر الديمقراطية الإفتراضية : دروس من الحالتين التونسية والمصرية
www.aleqt.com/2011/02/04/article_499838.html ,
- عوض ، حسين، أثر مواقع التواصل الإجتماعى فى تنمية المسئولية المجتمعية لدى الشباب ، تجربة مجلس شبايب على رأى نموذجى، جامعة القدس المفتوحة، برامج التنمية الإجتماعية والأسرية .2010 ,
- عبد الله ممدوح مبارك الرعود ، دور شبكات التواصل الإجتماعية فى التغيير السياسى بين تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، كلية الإعلام ، جامعة الشرق الأوسط ،.2012
- عبد الغنى عماد، سوسيولوجيا الثقافة - المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- عامر عبد الله، الفيس بوك وعالم التكنولوجيا، مجلة العلوم التكنولوجية، عدد 14جامعة البتراء، عمان، .2007
- عايد،أمير ,(2012) دور شبكات التواصل الإجتماعى فى تعبئة الرأى العام الفلسطينى نحو التغيير
الإجتماعى والسياسى ,دراسة وصفية وتحليلية ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث فى العلوم الإنسانية ، مجلد) 26د) ,فلسطين.
- عباس، مصطفى صادق،الإعلام الجديد: دراسة فى مداخلة النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية لعلوم الإعلام والإتصال، .2011
- عباس، مصطفى صادق، الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات، عمان، دار الشروق، .2008
- مصطفى الكحكى،عزة، إستخدام الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية وبعض العوامل الشخصية لدى عينة من الجمهور بدولة قطر ، أبحاث المؤتمر الدولى، "الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة ... لعالم جديد"، جامعة البحرين، من 9-7 أبريل .2009
- محمد رحومة، علي، الإنترنت والمنظومة التكنو-إجتماعية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، .2007
- ندوة الإعلام الجديد والتغيير السياسى والإجتماعى فى الوطن العربى ، الباز يوم 23مايو :2011
www.univ-stif.dz/index.php/manifestations_scientifiqus/2011-05-11
- ذياب، يوسف، دليل المسئولية المجتمعية، منشورات جامعة القدس المفتوحة.2010 ,
- ورداني،يوسف،ثقافة الشباب بين تحديات الانترنت وعجز الدولة

- M. KARROU, les nouveaux acteurs de la révolution. La transition politique, l'observatoire tunisien de la transition démocratique, 2011.
- M. CASSTELLS, The theory of the Network society, Great Britain by MPG Books LTD, Bodmin, Cornwall, 2006.
- Merlyna Lim .(2012).Clicks, Cabs, and Coffee Houses: Social Media and Oppositional Movements in Egypt,2004–2011.Journal of Communication.62, 231–248.
- NAHED ELTANTAWY, JULIE B. WIEST.(2011). Social Media in the Egyptian Revolution: Reconsidering Resource Mobilization Theory. International Journal of Communication.5, 1207–1224.
- Nadine Kassem Chebib & Rabia Minatullah Sohail.(2011). The Reasons Social Media Contributed To The 2011 Egyptian Revolution.International Journal of Business Research and Management.2 (3),139- 162
- N. BOUALI, La médiologie entre Marshall Macluhan et Azzi Abderrahmane□: de la technologie a la compétence morale, Université EAK. Consrantine, Algerie, https://sites.Google.com/site/valumediadeteuni-mismtheory
- Pete Ajemian. (Winter 2008).The Islamist opposition online in Egypt and Jordan, Arab Media &Society ,4.
http://www.arabmediasociety.com/?article=577"http://www.arabmediasociety.com/ article=577
- Rita Safranek.(Marvh 2012).The Emerging Role of Social Media in Political and Regime Change. ProQuest Discovery Guide,1-14.
- R. CHENALY, Les réseaux numériques au service des Intifades arabes, table ronde autour des Intifades Arabes, institut des sciences politiques, Université Saint Joseph, 20 aoul 2011.
- Sahar Khamis, Paul B. Gold., Katherine Vaughn. (Spring 2012). Beyond Egypt's "Facebook Revolution" and Syria's "YouTube Uprising:" Comparing Political Contexts, Actors and Communication Strategies. Arab media & society, 15,1-30.
-Serajul I. Bhuiyan.(2011). Social Media and Its Effectiveness in the Political Reform Movement in Egypt. Middle East Media Educator. 1 (1),14-20.
- Stefan Stieglitz • Linh Dang-Xuan. (July 2012).Social media and political communication: a social media analytics framework. Soc. Netw. Anal. Min.
http://www.researchgate.net/publication/235632721_Social_Media_and_Political_Communication__A_Social_Media_Analytics_Framework/file/79e41512111a26d3f3.pdf
- Tim Eaton. Online activism and revolution in Egypt: Lessons from Tahrir. www.newdiplomacyplatform.com
- Taylor Dewey, Juliane Kaden,Miriam Marks, Shun Matsushima, and Beijing Zhu . (2012, March 20). The Impact of Social Media on Social Unrest in the Arab Spring. Final Report prepared for Defense Intelligence Agency.
- V. LUOMA-AHO, Is Social Media killing our theories? Department of Communicating, JYU, Feb, 2012.
- X. ZHUO, W. BARRY, and ALL, The Egyptian revolt was both the old story and a new story, Peace magazine. AUF/ archive /v27n3p06.
- Z. TOUATI, Presse et révolution en Tunisie: rôle, enjeux et perspective- université Le havre, France, 2012.
- Zeynep Tufekci, Christopher Wilson.(2012). Social Media and the Decision to Participate in Political Protest: Observations from Tahrir Square. Journal of Communication. 62,363–379.
http://www.alwaref.org/arabic/2009-02-26-01-56-19/76-2009-03-05-02-02-52"

قائمة المراجع والمصادر باللغتين الانجليزية والفرنسية

- A. AUTHEAUME, la révolution du "Live", www.affaires-strategiques.infoSauil2011
- ADRIENNE RUSSELL. (2011). Extra-National Information Flows, Social Media, and the 2011 Egyptian Uprising. International Journal of Communication, 5, 1238–1247.
- A. KARBINISKI, Face book and the technology revolution N.Y Spectrum Publications, 2010.
- A. ABDERRAHMANE, De la Technologie a' la compétence morale, université de Consrantine, Algerie, https://sites.Google.com/site/valumediadeteuni-mismtheory
- Aneela Rashid.(2012).The Role of Social MediaSites in theEgyptian Uprising of 2011. Unpublished M.A.Erasmus University Rotterdam.
- Brian D. Loader. (2007). Young citizens in Digital age, New York: Routledge.
- C. O'DONNELL, New study quantifies un of social media in Arab Spring,
www.washington.edu/news/2011/09/12/new-study-quantifies-use-of-social-media-in-Arab-Spring/UWtoday.Sept.k.2011
- Caroline S. Sheedy. (2011).Social Media for Social Change:A Case Study of Social Media Use in the 2011 Egyptian Revolution. (Unpublished M.A).American University, Cairo, 2011.
- Diana Stover Tillinghast, San Jose , Dannah Sanchez, Matthew Gerring, Sarah Hassan. (2012, May 9- 11). EGYPTIAN DEMONSTRATORS USE OF TWITTER: TACTICS, MOBILIZATION, AND SAFETY. Paper presented at the International Conference on Communication, Media, Technology and Design ICCMTD, Istanbul – Turkey.
- D. Smoloon, The impact of the use of face book on the building society in the context of globalization, N, Y spectrum publication, 2009.
- ELIZABETH ISKANDER(2011).Connecting the National and the Virtual: Can Facebook Activism Remain Relevant After Egypt's January 25 Uprising International Journal of Communication.5,1225–1237.
- Essam Mansour.(May 2012).The Role of Social Networking Sites (SNSs)in the January 25thRevolution of دراسات المعلومات Egypt 14,1-55
- H. FRANCOIS- BERNAULT (sous la direction de), "Facebook, Twitter, Aljazera et le printemps arabe, " l'observatoire géostratégique de l'information,
www.affairs-strateÆiques.infos.ouavil2011
- K. BOUZOUITA, La coulisse, de la révolution tunisienne : Au cœur de la cyber - guerre, géostratégique N o32 , 3 emeTrimestre 2011.
- L. Bliz, Facebook en Tunisie, c'est la contre révolution, 30 aout 2011
www.stateafrique.com"www.stateafrique.com
- Lilas N. Gawhry. (March 2012).ASSESSING THE IMPACT OF SOCIAL MEDIA ON THE 25JANUARY 2011 EGYPTIAN REVOLUTION. UnpublishedM.A. Thesis. NAVAL POSTGRADUATE SCHOOL.
- M. ELWAFI, L'autonomisation des opinions politiques, Institut des études politiques de paris
www.affairs-strateÆiques.infos